فصل من رواية «الحزن العميق»

خمس عشرة دقيقة ...

بقلم جان بول سارتر

ترجمة الدكتور سهيل ادريس

تصدر هذا الشهر ترجمة الجزء الثالث من رائعة سارتر « دروب الحرية»، وهو بعنوان «الحزن العميق»، وفيه ينتقل الابطال الرئيسيون في الرواية الى مرحلة العمل والمشاركة والاضطلاع بالمسؤولية. وننشر فيما يلي احد فصول هذا الجزء :

*

دمدم ماتيو وجلس ، ثم حك راسه . وكان ديك يغني ، وكانت الشمس حارة جذلة ، ولكنها كانت ما تزال منخفضة.

قال ماتيو : ــ الطقس جميل .

فلم يجب احد : كانوا جميعا راكعين وراء الافريز . ونظر ماتيو الى ساعته فرأى انها كانت السادسة : وسمع هديرا بعيدا ومتعددا، فركع على ركبتيه وانضم للرفاق:

ــ ما هذا ؟ طائرة ؟

ــ لا : انهم هم ، فرقة المشاة الآلية .

فارتفع ماتيو فوق اكتافهم ، فقال كلابو :

ــ حذار ! تخف جيدا ، فان معهم مناظير .

وكانت الطريق ، على بعد مئتي متر قبل البيوت ، تنعطف نحو الغرب، وتختفي خلف رابية معشبة ، وتنساب بين ابنية المطحنة العالية التي كانت تقنعها ، لتأتي فتحاذي القرية بشكل مائل ، في اتجاه الجنوب الغربي . ورأى ماتيو ، في البعيد البعيد ، سيارات كانت تبدو ثابتة ، ففكر : « انهم الالمان » ! واصابه الخوف خوف غريب ، يكاد يكون دينيا ، نوع من الرعب المقدس . كانت الاف العيون الاجنبية تلتهم القرية، عيون رجال فوق الرجال ، وحشرات . وغمرت ماتيو بدهية فظيعة :

« سوف يرون » جثتي .

وقال بالرغم عنه :

ــ سيكونون هنا بعد دقيقة .

فلم يجيبوا . وبعد لحظة ، قال داندیو بصوت ثقيل بطيء :

ــ لن نطلق النار وقتا طويلا !

قال كلابو : ــ الى الخلف .

فتراجعوا وجلسوا هم الاربعة على فراش . لكان شاسيريو وداندیو خوختان متشابهتان ، وكان بينيت قد اخذ يشبههما : كانت لهم جميعا السحنة المتربة نفسها والعيون الكبيرة العذبة التي لا جوف لها . وفكر ماتيو :« ان لي هاتين العينين الوعليتين . » وكان كلابو قد تداعى للسقوط على عقبيه ، فاخذ يحدثهم من فوق كتفه :

ــ سوف يتوقفون عند مدخل القرية ، وسيرسلون عيونا للاستطلاع فحذار ان تطلقوا عليهم .

وتثاءب شاسيريو ، وهذه التثاؤبة نفسها ، اللذيذة كالفئيان ، كانت تفتح فم ماتيو . وحاول ان يقاوم الضيق وان يحر نفسه بالغضب ، فقال في نفسه « اننا مقاتلون ، ولسنا ضحايا ! » ولكن ذلك لم يكن غضبا « حقيقيا » وتثاءب من جديد ، وكان شاسيريو ينظر اليه في ود ، وقال :

ــ البداءة قاسية ، وفيما بعد ، سيتحسن الوضع .

واستدار كلابو على نفسه وجلس القرفصاء تجاههم ، وقال لهم:

ــ ليس هناك الا امر واحد : الدفاع عن المدرسة ودار البلدية ، فيجب الا يقتربوا منهما ، والرفاق تحت هم الذين سيعطون الاشارة ، فما ان يبدأوا بالاطلاق ، حتى تطلقوا كما تشاءون . وتذكروا : لن يكون دورنا الا دور حماية ، ما استطاعوا ان يقاتلوا .

وكانوا ينظرون اليه بهيئة وادعة مجدة . وسال بينيت :

ــ وبعد ذلك ؟

فهز كلابو كتفيه وقال :

ــ اوه ! بعد ذلك ..

قال داندیو : ــ لا اعتقد اننا سنقاوم طويلا .

ــ لا نستطيع ان نعرف . من المرجح ان يكون معهم مدفع المشاة . فيجب ان نحاول منعهم من تركيزه . سنواجه مصاعب ، ولكن اذا وجدت هذه المصاعب ، فستكون لهم ايضا ، لان الطريق والساحة يكونان زاوية. وعاد يركع على ركبتيه ، وزحف حتى الافريز . كان يراقب الريف مختبئا وراء عمود .

ــ داندیو ؟

ــ نعم ؟

ــ تعال

واوضح من غر ان يلتفت:

ــ كلانا يا دندیو ، سناخذهم مواجهة ، وانت يا شاسيريو قف الى اليمين ، ودولارو الى اليسار . وانت يا بينيت ، ستنتقل الى

الجهة الاخرى ، اذا انعطفوا حولنا .

وسحب شاسيريو فراشا الى الغرب ، فاسنده الى الافريز ، واخذ ماتيو الغطاء ، فتداعى للسقوط فوقه على ركبتيه . وكان بينيت يقول في غضب :

ـ انني اريهم ظهري ، هؤلاء الملعونين .

قال شاسيرو : ـ اراك تشكو . ستكون الشمس في صميم وجهي.

وكان ماتيو ملتصقا بالعمود ، ودار البلدية تجاهه ، فكان اذا انحنى قليلا الى اليمين يستطيع ان يرى الطريق . اما الساحة ، فكانت حفرة ظل سامة ، شركا : وكان يؤذيه ان ينظر اليها . وكانت عصافير تغني في شجر الكستناء .

ـ حذار !

فامسك ماتيو نفسه : كان راكبا دراجتين اسودان يرتديان قبعتين يدلفان الى الشارع ، فارسان من فرسان ما فوق الطبيعة : وحاول عبثا ان يتميز وجهيهما : فانه لم يكن لهما وجهان . فامتان دقيقتان ، اربع سيقان طويلة متوازية ، راسان اسودان املسان ، لا عينان فيهما ولا فم. وكان يسيزان بتقطعات الية ، وفي كبرياء صلبة تشبه كبرياء الاشخاص الاليين الذين يتقدمون تحت وجه الساعات القديمة حين تدق الساعة. وكانت الساعة على وشك ان تدق .

ـ لا تطلقوا النار !

وقامت الدراجتان بدورة الارض وهما تضربطان ، ولم يتحرك شيء. باستثناء بعض عصفور الدوري الذي تطاير : كانت تلك الساحة المزورة تظهر بمظهر الموت وكان ماتيو يفكر ، مسحورا: «انهم المان» . وارتدا الى مقربة من دار البلدية ، ومرا تحت ماتيو تماما فراى ايديهما الضخمة الجلدية ترتجف على المقودين ، ودلفا الى الشارع الكبير . وبعد لحظة ، عادا الى الظهور ، مستقيمين ، مركوزين فوق سرجيهما المترجرجين، ثم عادا بسرعة الى الطريق الذي جاءا منه . وكان ماتيو مسرورا ان كلابو قد منعهم من الاطلاق : فقد كانا يبدوان له غير قابلين للجرح . وتطايرت العصافير مرة اخرى ، ثم اندست بين الاوراق .

وقال كلابو : ـ جاء دورنا

وانت فرملة ، واصطفقت ابواب ، وسمع ماتيو اصواتا وخطى . فسقط في اشمئزاز يشبه النعاس : كان عليه ان يجالد ليبقى عينيه مفتوحتين ، وكان ينظر الى الطريق عبر جفنيه نصف المغلقتين ، ويشعر بنفسه ميالا للمصالحة ،اذا هبطنا ولحن نلقي بنادقنا ،فسيحطيون بنا ، وربما قالوا لنا : « ايها الاصدقاء الفرنسيون ، لقد انتهت الحرب . » وكانت الخطى تقترب ، انهم لم يفعلوا لنا شيئا ، وهم لايفكرون بنا ، ولا يريدون بنا شرا . واغمض عينيه تماما : ان الحقد سيتدفق حتى يبلغ السماء . سيرون جثتي ، وسيركلونها باقدامهم . ولم يكن يخاف ان يموت ، وانما كان يخاف الكراهية والحقد .

انتهى الامر ! وطق الطلق شديدا في اذنيه ، ففتح عينيه : فاذا الشارع خال صامت ، وحاول ان يصدق انه حلم . فان احدا لم يطلق ..

وتمتم كلابو : ـ ياللحمقى !

فانتفض ماتيو : ـ اي حمقى ؟

ـ افراد دار البلدية ، لقد تعجلوا اطلاق النار ، لابد ان في الهواء اصوات انفجار ، والا لتركوهم يجيئون .

وتطلع ماتيو في مشقة الى الطريق ، وانزلق نظره على البلاط ، وعلى ادغال من العشب بين البلاط ، حتى زاوية الشارع . لا احد الصمت ، «انها قرية في شهر اب ، فالرجال في الحقول . » ولكنه كان يعلم انهم كانوا يخترعون موته فيما وراء هذه الجدران : انهم يعملون على ان يلحقوا بنا اكبر اذى ممكن . وغرق في الحنو ، كان يحب جميع الناس . الفرنسيين ، الالمان ، هتلر . وفي حلم دبق ، سمع صرخات ، تبعها انفجار عنيف وتكسر زجاج ، ثم تتابعت اصوات الانفجار . وشنج يده على قبضة بندقيته ليحول دون سقوطها .

قال كلابو بين اسنانه : ـ ان مدى القنبلة اقصر مما ينبغي .

وكانت الطلقات تتوالى دون انقطاع ، وكان الالمان قد اخذوا يطلقون، وانفجرت قنبلتان اخريان . ليت هذا يمكن ان يتوقف دقيقة لاتنفس ولكن الطلقات كانت مستمرة ، والانفجارات تتزايد ، وفي راسه كانت عجلة مخرمة تدور بسرعة متنامية : وكانت كل تخريمة طلقة نارية ، يلعن دين ! واذا كنت ، فوق هذا كه ، جبانا ! والتفت فنظر الى رفاقه : كان كلابو وداندیو يراقبان مقرفصين على اعقابهما ، ممتقعين ، وعيونهما تلتمع في قسوة . وكان بينيت موليا ظهره ، متصلب الرقبة ، وكانت كتفاه تقفزان ، فكانه كان في رقصة ، او في ضحك جنوني . واحتمى ماتيو بالعمود ، واطل بحذر . ونجح في الاحتفاظ بعينيه مفتوحتين ، ولكنه لم يستطع ان يقسر نفسه على لفت راسه نحو دار البلدية : كان ينظر الى الجنوب القاحل الهادىء ، وكان يفر نحو مارسيليا ، نحو البحر . وحدث انفجار جديد تبعته تدحرجات جافة على احجار برج الاجراس . فحملق ماتيو بعينيه ولكن الطريق كانت تجري تحته باقصى سرعتها ، فالاشياء تنسرب وتنسرب وتنزلق وتختلط وتبتعد ، فكان ذلك حلم ، وكانت الحفرة تنحفر وتجذبه ، كان ذلك حلما ، وكانت عجلة النار تدور وتدور كعجلة باعة الحلويات الناعمة ، وكان موشكا على ان يستيقظ في سريره حين لمح ضفدعا يزحف نحو المعركة . ونظر ماتيو لحظة الى هذا الحيوان المسطح في غير اكتراث ، ثم اصبح الضفدع رجلا ، وكان ماتيو يرى بوضوح مدهش ثنيتي رقبته الحليقة ، وسترته الخضراء ، ونطاقه وحذاءه الطري الاسود . « لابد انه قام بالدورة عبر الحقول ، وها هو يزحف الان باتجاه البلدية ليلقي قنبلته . » وكان الالماني يزحف على مرفقيه وركبته ، وكانت يده اليمنى التي كان يرفعها في الهواء تشد عصا تنتهي باسطوانة معدنية في شكل مرجل . وقال ماتيو : « ولكن ، ولكن ... » وتوقفت الطريق عن الجري ، وجمدت العجلة ، وقفز ماتيو على قدميه ، وركز بندقيته على كتفه ، وقست عيناه : كان واقفا كثيفا، في عالم يتكون من شديدي الاسر ، وهو يمسك عدوا في طرف انبوب بندقيته ، ويصوب بهدوء الى جبينه . وقهقه قهقهة ترفع قصيرة : ان الجيش الالماني العظيم ، جيش الرجال الذين هم فوق الرجال ، جيش الجراد ، انما كان هذا الشخص المسكين ، الذي يبعث على الرافة لفرط ماهو مخطيء ، والذي كان يستغرق في الخطا وفي الجهل ، والذي كان منهمكا انهماك صبي مضحك ، ولم يكن ماتيو ليعجل ، كان يحدج صاحبه بفضول ، وكان لديه متسع من الوقت : ان الجيش الالماني « قابل للجرح» واطلق ، فقام الرجل بقفزة غريبة على بطنه وهو يرمي ذراعيه الى امام ، فكان يشبه من يتعلم السباحة ، واطلق ماتيو مرة اخرى ، وقد ابهجه ذلك ، فانتفض الرجل المسكين باعين او ثلاثة وهو يترك القنبلة التي تدحرجت على الطريق من غير ان تنفجر . انه الان هادىء ، مضحك لاخطر منه ، ميت ، وقال ماتيو بصوت منخفض : « لقد هداته ، لقد هداته . » وكان ينظر الى الميت ويفكر : « انهم كسائر البشر » وكان يحس بنفسه قويا نشيطا .

وحطت يد على كتفه : كان كلابو قد اتى ينظر الى عمل الهاوي . وتامل الحيوان الميت وهو يهز راسه ،ثم التفت :

ـ شاسيريو !

فجر شاسيريو نفسه على ركبتيه حتى بلغهما ، فقال كلابو :

طبعت على مطابع :

دار الغد للطباعة والنشر

تلفون : ٢٢٢٩٢١

ـ راقب قليلا من هنا .

فقال ماتيو متضايقا :

ـ لست بحاجة الى شاسيريو

قال كلابو : ـ سيأتون لاخذه ، فاذا كان عددهم كبيرا ، تغلبوا عليك .

وانطلق صوت رشاش ، فرفع كلابو حاجبيه ، وقال وهو يعود الى مركزه :

ـ هيه ! لقد بدأ الاطلاق جديا .

والتفت ماتيو الى شاسيريو ، وقال في حيوية :

ـ حسنا ! اظن اننا نحدث للالمان مصاعب .

فلم يجب شاسيريو ، كان يبدو ، ثقيلا ، خاما ، شبه نائم ، وسأله ماتيو منزعجا :

ـ الا ترى كم هم بطيئون ؟ كنت احسب انهم سيصفون حسابنا في ضربتي ملعقة !

فتامله شاسيريو في دهشة ، ثم نظر الى ساعة يده ، وقال :

ـ لم تنقض ثلاث دقائق على مرور الدراجات .

فانحسر هياج ماتيو ، واخذ يضحك . لقد حاول طوال اعوام ان يعمل ولكن عبثا : فقد كانت افعاله تسرق منه بالتتالي . اما هذا العمل ، فلم يسرق منه شيء على الاطلاق . لقد ضغط على الزناد ، فحدث شيء ما ، في هذه المرة ، وفكر وهو يزداد ضحكا : شيء حاسم . وكانت اذنه مثقوبة بالانفجارات والصراخ ، ولكنه كان لايكاد يسمعها ، كان ينظر الى ميته في رضى ، وكان يفكر : « يلعن دين ! لقد احس به يمر . لقد فهم ، ذاك ، لقد فهم ! » ميته « هو » ، عمله « هو » ، اثر مروره « هو » على الارض ، واخذته الرغبة بان يقتل اخرين :كان ذلك مسليا وسهلا ، كان يريد ان يغرق المانيا في الحداد .

ـ حـــذار !

كان شخص يزحف بحذاء الجدار ، وفي يده قنبلة ، وصوت ماتيو على هذا الكائن الغريب المرغوب فيه ، وكان قلبه يخفق خفقات كبيرة .

ـ خراء !

لقد اخطأه . وانطوى الشيء على نفسه ، فاصبح رجلا تائها ينظر فيما حوله من غير ان يفهم ، واطلق شاسيريو ، فتمدد الرجل كانه زنبرك ، وانتصب ، فقفز في الهواء وهو يطوي ذراعه ، وقذف قنبلته ، ثم انهار على ظهره في وسط الشارع . وفي اللحظة نفسها ، تطايرت الواح زجاج ورأى ماتيو ، في نهار ممتقع باهر ، اشباحا تتلوى في الطابق الاسفل من دار البلدية ، ثم عاد الليل ، وكانت لطخات صفراء تنسحب في عينيه ، وكان غاضبا على شاسيريو ، وردد :

ـ خراء ! خراء ! خراء !

قال شاسيريو : ـ لاتحزن ، فقد اخطأ هدفه على كل حال : ان الرفاق في الطابق الاول .

وكان ماتيو يطرف بعينيه وينفض رأسه ليتخلص من اللطخات الصفراء التي كانت تبهره . وقال :

ـ حذار ! انني اعمى ،

قال شاسيريو : ـ سيزول ذلك ، يلعن دين ! انظر الى الشخص الذي رميته ، انه يحرك ساقيه .

فاطل ماتيو ، وكانت قد تحسنت رؤيته ،فاذا الالماني الملقى على ظهره ، مفتوح العينين على سعتهما ، يحرك ساقيه ، وركز ماتيو البندقية على كتفه فقال شاسيريو :

ـ هل انت مجنون ؟ لاتبذر طلقاتك !

فاراح ماتيو بندقيته في كزازة . وفكر : « ربما استطاع هذا الفرز ان ينجو بنفسه . »

وانفتح باب البلدية على سعته ، وظهر شخص على العتبة ، فتقدم بخيلاء . وكان عاريا حتى النطاق ، لكأنه رجل مسلوخ . وكانت تتدلى من خديه الاحمرين اللذين يبدوان كأنهما منحوتان ، برايات من اللحم . واخذ فجاة يصرخ ، فانطلقت عشرون بندقية في وقت واحد ، فتهاوى ، وهوى بانفه ثم سقط على درجات الحاجز .

وقال شاسيريو : ـ انه ليس من فرقتنا .

فقال ماتيو بصوت يخنقه الغضب :

ـ كلا ، بل هو من فرقتنا ، واسمه لاتيكس .

وكانت يداه ترتجفان ، وكانت عيناه تؤلمانه ، وكان يردد بصوت مبحوح:

ـ كان يدعى لاتيكس . وعنده ستة اولاد .

ثم انحنى فجاة ، فصوب الى الجريح الذي كانت عيناه الكبيرتان تبدوان وكأنهما تنظران اليه :

ـ ستدفع الثمن ، ايها القذر .

قال شاسيريو : ـ انت مجنون . قلت لك الا تبذر طلقاتك .

قال ماتيو : ـ حل عن ديني !

ولم يكن يعجل في الاطلاق : اذا راني ، هذا القذر ، فسيكون في وضع شاق ، وكان يصوب على راسه ، واطلق : فانفجر الرأس ، ولكن الرجل ظل يحرك رجليه .

وصاح ماتيو : ـ قذر ! قذر !

ـ حذار ! يلعن دين ! حذار ! اليسار ؟

وكان خمسة المان او ستة قد ظهروا ، فاخذ شاسيريو وماتيو يطلقان، ولكن الالمان كانوا قد غيروا خطتهم . كانوا يبقون واقفين ، مختفين في الزوايا ، وكأنهم ينتظرون . وقال شاسيريو :

ـ تعال ياكلابو ! ياداندیو ! لقد تكاثروا .

قال كلابوا : ـ لا استطيع .

فصاح ماتيو : ـ بينيت !

فلم يجب بينيت ، ولم يجرؤ ماتيو على الالتفات .

ـ حـذار !

كان الالمان قد اخذوا يركضون ، واطلق ماتيو ، ولكنهم كانوا قد عبروا الشارع ، وصاح بهم كلابو من مكانه :

ـ عجبا ! ان هناك المانا تحت الاشجار في هذه الساعة ، فمن تركهم يمرون ؟

فلم يجيبوا ، كانت ثمة تحركات تحت الاشجار . واطلق شاسيريو على هواه .

ـ سيكون مستحيلا ان نخرجهم من اماكنهم .

وكان افراد المدرسة قد اخذوا يطلقون ، وكان الالمان يجيبونهم، وهم في مخابئهم خلف الاشجار . وكفت البلدية عن اطلاق النار بتاتا . وكان الشارع يصعد الدخان ببطء ، على مستوى الارض .

وصاح كلابو : ـ لاتطلقوا في الاشجار ، فسيكون ذلك بارودا ضائعا .

وفي اللحظة نفسها ، انفجرت قنبلة على واجهة البلدية ، في مستوى الطابق الاول ، وقال شاسيريو : ـ انهم يتسلقون الاشجار .

فقال ماتيو : ـ اذا تسلقوا الاشجار ، سهل علينا اصطيادهم .

وكان نظره يحاول ان يخرق الاوراق ، ورأى ذراعا ترتفع فاطلق. ولكن ذلك كان بعد فوات الاوان : لقد انفجرت البلدية ، فانتزعت نوافذ الطابق الاول ، ومن جديد ، اعماه ذلك النور الاصفر الفظيع ، واطلق كيفما تاتى له : فسمع ثمارا ضحمة ناضجة تتدحرج من غصن لغصن ، ولم يكن يعلم ان كان الاشخاص يسقطون ام يهبطون .

قال كلابو : ـ لقد كفت البلدية عن الاطلاق .

وارهفوا اذانهم ، ممسكين انفاسهم ، كان الالمان مايزالون يطلقون ، ولكن البلدية لم تكن تجيب . وارتعش ماتيو ، ماتوا ، قطع من اللحم الدامي

فوق ارض مبعوجة ، في قاعات فارغة .

وفجأة ، خرجت من نوافذ الطابق الاول دوامات دخان ، وتميز ماتيو، عبر الدخان ، لهبا احمر واسود . واخذ احدهم يصيح في دار البلدية، وكان صوتا حادا ابيض ، صوت امرأة . واحس ماتيو فجأة انه سيموت. واطلق شاسيريو النار .

وقال له ماتيو : ـ انك مجنون ، هانت الان تطلق على دار البلدية ،انت الذي تأخذ علي ان ابذر بالطلقات .

وكان شاسيريو يصوب على نوافذ البلدية ، واطلق ثلاث مرات في اللهيب ، وقال :

ـ انه هذا الذي يزعق ، لاستطيع بعد ان اسمعه .

قال ماتيو : ـ مايزال يزعق .

وكانا يصغيان ، مثلوجين ، وضعف الصوت .

ـ انتهى .

ولكن الصرخات ما لبثت ان عادت بصورة اقوى ، وكانت لا انسانية كانت اصداء هائلة ضخمة تزداد حدة وثقوبا . واطلق ماتيو بدوره على النافذة ، ولكن بلا جدوى .

قال شاسيريو : ـ انه لايريد ان يموت .

وفجأة انقطع الصراخ ، فقال ماتيو :

ـ اف !

قال شاسيريو : ـ انتهى . مات . شوي .

ولم يكن ثمة بعد مايتحرك ، لاتحت الشجر ، ولا في الشارع ، وكانت الشمس تذهّب مثلث دار البلدية الملتهب. ونظر شاسيريو الى ساعته، فقال :

ـ سبع دقائق .

وكان ماتيو يتلوى في اللهب ، انه لم يكن بعد الا حرقا ، وكان يختنق ووجب عليه ان يشد يديه على صدره ويهبط بهما رويدا حتى بطنه ليتأكد من انه كان سليما . وقال كلابو فجأة :

ـ هناك جنود على السقوف .

ـ على السقوف ؟

ـ تجاهنا تماما . انهم يطلقون على المدرسة ، خراء ! هكذا اذن !

ـ ماذا ؟

ـ انهم ينصبون رشاشا ، « وصاح » بينيت !

فانزلق بينيت الى الخلف .

ـ تعال الى هنا ! ان افراد المدرسة سيتعرضون للقتل .

وانحنى بينيت على اربع : وكان ينظر اليهم بهيئة غائبة ، وكان وجهه رماديا .

وسأل ماتيو : ـ هل تشكو شيئا ؟

فقال بجفاء : ـ الامور على احسن مايرام .

وجر نفسه نحو كلابو ، وركع .

قال كلابو : ـ اطلق ، اطلق في الشارع لتشغلهم ، اما نحن ، فسنتولى امر الرشاش .

واخذ بينيت يطلق ، من غير ان يقول كلمة . فقال كلابو :

ـ اطلق بطريقة افضل ، يلعن دين ! ان الانسان لايطلق ، وعيناه مغمضتان .

فارتعش بينيت وبدا وهو يبذل جهدا عنيفا على نفسه ، فعاود خديه بعض الاحمرار ، وصوب وهو يحملق بعينيه ، وكان كلابو وداندیو ، الى جانبه ، يطلقان بلا انقطاع ، ثم اطلق كلابو صيحة انتصار :

ـ حسنا ! حسنا ! لقداغلق الرشاش فمه .

وارهف ماتيو اذنه : لم يكن يسمع شيء بعد ، وقال :

ـ نعم ، ولكن الرفاقه لا يطلقون بعد .

كانت المدرسة صامتة ، اجتاز الطريق ركضا ثلاثة المان كانوا قد اختباوا تحت الاشجار وارتموا على باب المدرسة فانفتح . ودخلوا ، ثم ظهروا بعد لحظة مطلين من نوافذ الطابق الاول ، يصرخون ويأتون بالحركات، واطلق كلابو ، فاختفوا ، وبعد لحظات ، سمع ماتيو ، للمرة الاولى منذ الصباح ، أزيز رصاصة ، ونظر شاسيريو الى ساعته :

ـ عشر دقائق .

قال ماتيو : ـ نعم ، انها بداية النهاية .

كانت البلدية تحترق ،وكان الالمان يحتلون المدرسة : فكان فرنسا هزمت مرة اخرى .

ـ اطلقوا ، يلعن دين !

وكان بعض الالمان قد ظهروا ، حذرين ، في مدخل الشارع الكبير . واطلق شاسيريو وبينيت وكلابو ، فاختفت الرؤوس .

ـ لقد اهتدوا الى مكاننا ، هذه المرة .

وعاد الصمت من جديد ، صمت طويل ، وفكر ماتيو : « ماذا تراهم يعدون ؟ » في الشارع الخالي ، كان ثمة اربعة قتلى ، وعلى بعد قليل، اثنان اخران : هذا كل ماستطعنا انفعله . اما الان ، فيجب ان ننجز مهمتنا : ان نقتل . وبالنسبة اليهم ، ماذا يشكل ذلك ؟ عشر دقائق تأخير عما هو مقرر .

وقال كلابو فجأة : ـ عليهم !

كان شيطان صغير كثيف يجري نحو الكنيسة ، وكان يلتمع في الشمس ، وقال داندیو بين اسنانه :

ـ « شنلفوراكنون » .

صدر حديثا :

كيف تساعد ابناءك في المدرسة

هذا الكتاب هو دليل تربوي يوفر على الاباء مهمة الاجتهاد الخاص للتوصل الى الاسلوب الامثل في معاملة ابنائهم الطلاب من جهة ومع المدرسة التي عهدوا اليها بتربية صغارهم من جهة اخرى، حيث ان قيام التعاون بين البيت والمدرسة وفي جميع مراحل الدراسة ، ضرورة واجبة وليس ادخال الطلاب الى المدرسة التي يختارها الاباء معناه ترك مهمة التوجيه والاشراف كلية للمدرسة فالتعاون بين البيت والمدرسة يساعد كثيرا في مساعدة الاولاد كي يدرجوا على طريق النمو ويكسبوا شخصيات مستقيمة مكتملة سيما ان اي انحراف في حياة الاولاد يمكن تقويمه بالجهد الايجابي الذي يتكاتف عليه هؤلاء الذين لهم العلاقة الوثقى بحياتهم ليكونوا مواطنين اصحاء صالحين .

وان الاباء الذين يساورهم الخوف على انفسهم واولادهم وواجباتهم لن يحرزوا تقدما مجديا ما لم يؤمنوا بانفسهم وبالقيم العائلية ايضا وهم بحاجة الى الشجاعة ليرسخ ايمانهم بالطبيعة الانسانية . ان هذا الكتاب يوضح للوالدين كيف يحبون اولادهم الصغار بطريقة علمية بناءة ليساعدونهم بذلك على مجابهة الحياة.

منشورات مكتبة المعارف في بيروت

دار الاداب تقدم هذا الشهر

عاصفة على السكر !

بقلم

جان بول سارتر

* الكتاب الذي يصف نضال كوبا ورئيسها كاسترو ضد الاستعمار الاميركي ،
* الكتاب الذي يبدو فيه الاديب الوجودي الكبير نصيرا لكل بلد يسعى الى التحرر من السيطرة الاجنبية .
* الكتاب الذي ما يزال يثير ضجة كبيرة في اوساط العالم السياسية .

وزحف ماتيو نحوهم ، كانوا يطلقون ، ولكن لم يكن يرى احد ، كان يبدو ان المدفع يسير من تلقاء نفسه . كانوا يطلقون ارضاء لضمائرهم ، لانه كان ثمة بعد طلقات ، وكانت لهم وجوه جميلة هادئة ومتعبة ، وجوههم الاخيرة .

ـ الى الوراء !

وبدا فجاة الى شمال المدفع رجل يرتدي قميصا بنصف كم ، ولم يكن يسعى للاحتماء بشيء ، بل كان يصدر اوامره في هدوء ، وهو يرفع ذراعه . وانتصب ماتيو بغتة : كان هذا الرجل القصير ذو العنق العارية يلهبه رغبة .

ـ الى الوراء ، وعلى بطونكم !

وارتفع فم المدفع في هدوء ، ولم يكن ماتيو قد تحرك : كان على ركبتيه يصوب ناره على نائب الضابط ، وصاح به كلابو :

ـ هل سمعت امري ؟

فدمدم ماتيو : ـ اسكت !

واطلق ، فصدم مقبض بندقيته كتفه ، وحدث انفجار هائل كانه صدى مضخم لطلقة بندقيته ، ورأى لونا احمر . ثم سمع ضجة تمزق ، طويلة ، مائعة .

قال كلابو : ـ اخطاوا الهدف . لقد صوبوا اعلى مما ينبغي .

وكان نائب الضابط يتخبط ، وساقاه في الهواء . وكان ماتيو ينظر اليه وهو يبتسم . وكان يوشك ان يجهز عليه حين بدا جنديان فحملاه . وزحف ماتيو القهقرى ، واتى يتمدد بالقرب من دانديو ، وكان كلابو قد بدأ برفع باب السقف .

ـ عجلوا ، لنهبط !

فهز دانديو راسه :

ـ تحت ، ليس ثمة من نوافذ .

وتبادلوا النظر ، وقال شاسبيريو :

ـ اننا لانستطيع ان ندع الطلقات تذهب هدرا .

ـ وهل بقي معك منها كثير ؟

ـ مشطان .

ـ وانت ، ياداندیو ؟

ـ مشط واحد .

فعاد كلابو يغلق باب السقف ، وهو يقول :

ـ انت على حق ، لانستطيع ان ندعها تذهب هدرا .

وسمع ماتيو خلفه نفسا ابح ، فالتفت : كان بينيت قد امتقع حتى الشفتين وكان يتنفس بمشقة .

ـ هل انت مجروح ؟

فنظر اليه بينيت نظرة قاسية :

ـ لا .

ونظر كلابو الى بينيت بتنبه :

ـ اذا اردت ان تهبط ، ياصغيري ، فلست مجبرا على البقاء ، ليس ثمة من هو مدين لاحد بشيء . انها كما تعلم طلقاتنا . ولا نستطيع ان ندعها تذهب هدرا .

قال بينيت : ـ خراء اذن ! ولماذا تراني اهبط ، اذا لم يهبط دولارو ؟

وزحف حتى الافريز ، واخذ يطلق .

وصاح ماتيو : ـ بينيت ؟

فلم يجب بينيت . وكان الرصاص يصفر فوقهم ، وقال كلابو :

ـ دعه وشانه . فان هذا يشغله .

واطلق المدفع طلقتين متتاليتين ، وسمعوا صدمة قاسية فوق رؤوسهم وانفصل عن السقف وابل من احجار الجبس ، وسحب شاسيريو ساعته :

ـ اثنتا عشرة دقيقة .

وزحف ماتيو وشاسيريو حتى الافريز . وجلس ماتيو القرفصاء ،بالقرب من بينيت ، وكان شاسيريو ، الى يمينه ، واقفا منحنيا الى امام . وقال شاسيريو :

ـ لاباس بها ، اثنتا عشرة دقيقة حتى الان . لاباس بها .

وهبت الريح وانت وصفعت ماتيو على وجهه : ريح حارة ثقيلة كانها الحساء ، وسقط ماتيو جالسا على الارض . وكان الدم يعميه ، كانت يداه حمراوين حتى المعصمين ، وكان يفرك عينيه فيمزج دم يديه بدم عينيه ، ولكن ذلك لم يكن دمه : فان شاسيريو كان جالسا على الافريز ، بلا رأس . كان مزيج من الدم والفقاعات يخرج من عنقه .

قال بينيت : ـ لااريد ، لااريد !

ونهض فجاة ، فركض الى شاسيريو وضربه في صدره بمقبض بندقيته ، فتهاوى شاسيريو وهوى من فوق الافريز . وراه ماتيو يسقط بلا انفعال : كان ذلك بداية موته هو بالذات .

وصاح كلابو : ـ اطلقوا النار كما تشاءون .

وفجاة ، اصبحت الساحة تنفل بالجنود ، وعاد ماتيو الى مركزه واخذ يطلق . وكان داندیو يطلق بالقرب منه .

وقال داندیو ضاحكا : ـ ان هذه مذبحة !

وترك بندقيته التي سقطت في الشارع ، ونام على ماتيو وهو يقول :

ـ ياعزيزي ! يا عزيزي !

فدفعه ماتيو عنه بضربة كتف . فسقط داندیو الى الخلف ، واستمر ماتيو يطلق النار . وكان مايزال يطلق حين انهار السقف عليه . وتلقى عارضة على راسه ، فترك بندقيته وسقط . وفكر في جنون ، خمس عشرة دقيقة ، انني اهب كل شيء لاقاوم خمس عشرة دقيقة ! وكانت قبضة بندقية تخرج من فوضى الخشب المحطم والاحجار المتناثرة ، فسحبها اليه ، كانت البندقية دبقة بالدم ، ولكنها معبأة بالطلقات .

وصاح بينيت : ـ ماتيو !

فلم يجب احد ، كان انهيار السقف يسد شمال السطحية كله . وكانت الانقاض والعوارض تسد باب السقف ، وكانت عصا من حديد تتدلى من السقف الفاغر ، كان ماتيو وحيدا .

وقال بصوت مرتفع : ـ يلعن دين ! لن يقال اننا لم نقاوم خمس عشرة دقيقة .

واقترب من الافريز واخذ يطلق واقفا . وكان ذلك ثارا هائلا . كانت كل طلقة تثار له من وسواس قديم ، طلقة على لولا التي لم اجرؤ على سرقتها ، وطلقة على مارسيل التي كان علي ان اهجرها ، وطلقة على اوديت التي لم ارد ان اضاجعها . وهذه للكتب التي لم اجرؤ على كتابتها ، وتلك للرحلات التي امتنعت عن القيام بها ، وهذه الاخرى على جميع الاشخاص ، جملة ، الذين كنت راغبا في احتقارهم والذين حاولت ان افهمهم ، كان يطلق ، وكانت القوانين تتطاير في الهواء ،ستحب قريبك كما تحب نفسك ، طق في فم هذا الفرج ، لن تقتل ابدا ، طق في الطرح المزيف الساكن قبالتي . كان يطلق على الانسان ، على((الفضيلة)) على العالم : « الحرية » هي « الارهاب » ، كانت النار تشتعل في البلدية تشتعل في راسه : كان الرصاص يئز ، حرا كالهواء ، سينفجر العالم ، وانا معه ، واطلق ، ونظر الى ساعته : اربع عشرة دقيقة وثلاثون ثانية ، لم يبق مايطلب بعد الا مهلة نصف دقيقة ، مايكفي فحسب لاطلاق النار على الضابط الجميل الفخور الذي كان يعدو نحو الكنيسة : واطلق على الضابط الجميل ، على كل « جمال » الارض ، على الشارع ، على الازهار ، على الحدائق ، على كل ماسبق له ان احبه ، وغطس « الجمال» غطسة داعرة ، واطلق ماتيو مرة اخرى . اطلق : وكان نقيا ، وكان قديرا، وكان حرا .

خمس عشرة دقيقة .

هذا الشهر

بعد « سن الرشد »

و « وقف التنفيذ »

يصدر الجزء الثالث من سلسلة

دروب الحرية

الحزن العميق

وهو يصور الحالة النفسية التي عاشها الفرنسيون بعد الهزيمة التي منوا بها في الحرب العالمية الاخيرة. وفي هذا الجزء نلتقي بالابطال الرئيسيين وقد خرجوا من الموقف السلبي او المحايد الذي وقفوه في الجزءين الاولين الى موقف ملتزم تحملوا فيه مسؤوليتهم وكانوا ايجابيين في مواجهة اوضاعهم .

وهذا الجزء هو في راي كثيرمن النقاد اروع حلقات سلسلة ((دروب الحرية)) من حيث دقة التحليل وروعة التصوير وعمق التعبير عن ((الحزن العميق)) الذي عاشه الابطال في تلك الظروف.

منشورات الاداب